

الذخوه من القرآن الكريم

١- تقويم جديد لـ كاد وآخواتها

الدكتور محمود عبد السلام شرف الدين

تمهيد

يقسم فقهاء اللغات مفردات اللغات الى قسمين كبارين أحدهما يطلق عليه الكلمات المعجمية اي تلك المفردات ذات المعنى والآخر يطلق عليه الكلمات التركيبية اي تلك المفردات الخالية من المعنى في حد ذاتها والتي يتضاع منها وهي في التركيب ، والاسم والفعل من النوع الاول والاداء من النوع الثاني .
والاداء تتسم بسمات كثيرة منها خلوها من المعنى المعجمي ، ومنها الجمود في الشكل اي عدم التصرف ، ومنها قلة المعد ، فادوات اية لغة محدودة المعد ، ولكن هذا التحديد الكمي لا يقابله تحديد كيفي ، اذ ان نسبة تردد الادوات في التراكيب تفوق كثيرة نسبة تردد الاسم والفعل .
فالاداء تتسم بثبات الجانب المادي ، كما ان جانبها الدلالي ذو صفة تركيبية فلا يتضاع الا في تركيب ، وهو ما قاله النحاة من ان الحرف ما يدل على معنى في غيره .
للتنظر الان في « كاد وآخواتها » كما جاءت في القرآن الكريم على ضوء من التمهيد السابق السريع .

ثانيا : ما حدث في افعال المقاربة جاء على خلاف الاصل ، اي ان هذه الكلمات كانت من هذه التاهية لا تنسب الى الافعال المتصرفه .

ثالثا : قوله : « لكن المعرب ... الترمي فيها لفظ الماضي » يدل على ان افعال هذا الباب كانت تنسى نحو حالة « (الاداء) » .

رابعا : « عسى » أكملت طريق التطور ، اذهى لا ترى حتى امكانية التصرف النظرية .
خامسا : بعض الافعال جاءت على صورة غير الماضي ، فهي بهذا اقرب الى حالة « (الفعالية) » من سواها .

ولم يرد في القرآن الكريم الا كلمات قليلة من الافعال السابقة وهي : شرع ، انشأ ، خلق ، اقبل ، كاد ، طرق ، عسى .
والكلمات الثلاث الاولى استعملت اعمالاً تامة

اطلق القدماء على « كاد وآخواتها » افعال المقاربة ، وانشهر هذه الافعال اربعة عشر فعل ، وزاد التحويون افعالاً اخرى حتى بلغت اربعين (١) .
ويقسم التحويون هذه الافعال قسمين : قسم مجمع عليه انه فعل وهو ما عدا عسى ، وقسم مختلف فيه وهو عسى ، فمذهب الجمهور انها فعل ، وذهب بعض التحويين الى أنها حرف (٢) .

يقول « أبو حيان » الاصل في افعال المقاربة التصرف الا عسى خاصة لكن العرب حين استعملت هذه الافعال هنا الترمي فيها لفظ الماضي الا ما كان من اوشك وكاد ، حيث ان الاكثر في لسان العرب استعمال مضارع الاولى ، واستعمال مضارع الثانية كـ تصبح (٣) .

والنص السابق يشير الى ما يلى :
اولا : الاصل - اي القاعدة - في الافعال ومنها افعال المقاربة ان تكون متصرفة .

(١) السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، همع المهاجم - ط 129 ، القاهرة ، مطبعة المساعدة ، 1909 ، يوسف السودا الاحرفية - 62 ، 63 ، بيروت ، دار رihan .

(٢) أبو حيان ، محمد بن يوسف بن علي ، منهج السالك - 67 ، نيويورك 1947 .

(٣) منهج السالك - 70 ، انظر ايضا همع المهاجم ط - 129 .

متصرفة محافظة على معناها الفعلي أي الدلالة على الزمن والحدث .

اما « اقبل » فلم ترد الا ماضية ، وقد استعملت تامة وناقصة من امثالها تامة قوله تعالى : « فاقتربت امراته في صرة » (1) « قالوا واقبلا عليهم ماذا تنقدون » (2) ومن امثالها ناقصة : « واقبل بعضهم على بعض يتلاؤن » (3) ، « فاقترب بعضهم على بعض يتلاؤن » (4) .

اما « كاد » فوردت متصرفة ناقصة فقط ، قال تعالى : « قالوا الان جئت بالحق فذبحوها وما كانوا يفعلون » (5) ، « يكاد زيتها يضي » (6) « ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبيّن » (7) .

و « طرق » وردت غير متصرفة ناقصة ، لكن علامة التي قد لحقت بها ، قال تعالى : « وطرقنا يخصفان عليهما من ورق الجنة » (8) كما وردت مع الخبر المتضوب مرة في قوله تعالى : « فطرق مسحانا بالسوق والاعناب » (9) .

وقد اول النهاية الآية الاخيرة على ان الخبر محنوف للعلم به اي « يمسح » لدلالة المصدر وبعض النهاة وهو مصعب الشئني ذهب الى ان الخبر ويد اسمها مفروضا تتبعها على الاصل المتروك (10) اي ان الاصل ان يكون خبر هذه الافعال مفروضا منصوبا ، ولكن الاستعمال ورد بخلاف ذلك .

وكان ان + الفعل المضارع هي الصورة الكلامية الوحيدة المستعملة رغم أنها تعد من الناحية النظرية معاذلة لصورة اخرى قياسية غير مستعملة .

وهذا الرجوع الى « الاصل المتروك (كيفه) ابن جني (باته) مما يقتوي في القياس ويضاف في الاستعمال أو يخطر في السماع » (10))

والقياس الذي يعنيه (ابن جني) هو مسلمة مجردة توصل اليها النهاية من دراستهم لكتبه من الجمل، ولكن هذه المسلمة مرفوضة .

اولا : لا يسلم ان الاصل في الاخبار ان تكون مفردة منصوبة ، فتراتيكب اللغة ملية بالاخبار غير المفردة .

ثانيا : على فرض التسليم بهذه المسلمة في غير « افعال المقاربة » لا يسلم بها مع افعال المقاربة ، لأن السمع والقياس المؤسس على هذا السمع ان تكون اخبارها مضارعة .

وارى ان لا فرق بين « الطلاق » مع المضارع ، وبينها مع المصدر في الآية السابقة ، فالمعنى واحد ولعمل استعمالها مع المضارع ومع المصدر يشبه ما عليه اللغة الانجليزية حين تستعمل الفعل المساعد مع الـ infinitive ومع الـ gerund الذي يقابل المصدر في اللغة العربية — فقولك طلق يلعب تساوى he began to play وقولك طلق يلعب تساوى he began playing اما الكلمة الاخرية « عسى » فقد وردت غير متصرفة ناقصة ، لم تتصل بها علامة تأثير او عدد غالبا — .

فاعمال المقاربة مرت بالراحل التالية — كما تبدو في تراكيب القرآن الكريم —
او لا : افعال تامة متصرفة

ذات دلالة على الحديث والزمن
« خلق — انشا — شرع »

ثانيا : افعال تامة او ناقصة ماضية فقط
تدل على الحديث والزمن
« اقبل »

ثالثا : افعال ناقصة متصرفة
تفقد وحدتها الدلالة على الزمن والحدث
« كاد »

رابعا : افعال ناقصة غير متصرفة
تفقد وحدتها الدلالة على الزمن والحدث
مثل « طرق »

(1) الذاريات — 29 ، (2) يسوس — 71 ، (3) الصافات — 27 ، 50 ، الطور — 25 ، (4) القلم 30 ، (5) البترة — 71 ، (6) النور — 35 ، (7) الزخرف 52 ، (8) الاعراف — 22 ، (9) من — 33 ، (10) شلب ابو العباس احمد بن يحيى، مجلس شطب ق 1 ج 2095، القاهرة ، دار المعارف ، 1948 ، ابن الباري ، كمال الدين ابو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ، اسرار العربية — 53 ، ليدن 1886 ، معجم المقامع ج 1 — 131 .

(10) ابن جني ، ابو الفتح عثمان ، الخمسائمن — ج 1 — 98-97 ، القاهرة ، دار الكتب 1952 .

والكلمات الناقصة التي احتفظ بها القرآن الكريم من هذه الكلمات وهي «كاد» — طفق — عمس» لا دلالة لها على الزمن في حد ذاتها ولكن دلالتها على الزمن تظهر حين توضع في جملة ذات أفعال مضارعة » فهي دلالة تركيبية أدنى ، لأنها لا تظهر إلا في تركيب وهذا منحى آخر من مناحي اعتبار هذه الكلمات من الانواع.

ومن الناحية الترتكيبية أيضا نرى هذه الكلمات لا تكتفى بالاسم المفروع بعدها شأن بقية الاتصال بـسل. تحتاج إلى الفعل المضارع كي يتضمن معناها — وهو — الامر الذي جعل الاقتباس يجعلونها من الافعال الناقصة — وهذه المسماة تقربها من الاداة وتبعدها عن «(الفعالية)».

وقد قسمت افعال هذا الباب الى ثلاثة اقسام من حيث اقتران خبرها المضارع بـأي وـعدمه ، فهناك افعال يجـب فيها اقتران خـبرها بـأي ، وـآخر يـمتنع معـها الاقتـران ، وـثالثة يـجوز معـها الاقتـران : الاقتـران وـعدـمه .

ويوازي هذا التقسيم التلائى تصنیف ثلاثة ايضاً
پتعلق بدلالة هذه الافعال في حملتها .

فعلى الرغم من أن هذه الأفعال سميت «أفعال المقاربة» فإنها كلها لا تعنى المقاربة ، بل إن بعضها يدل على المقاربة ، وبعضها يدل على الشروع ، وقسم ثالث منها يدل على التوقع .

وكان تسميتها أفعال المقاربة تسمية للكل باسم البعض — كما يقولون —

والطريف ان القرآن الكريم احتفظ لكل قسم من الاقسام الدلالية الثلاثة السابقة بكلمة تمتلك ماحفظ بكاد التي تعبير عن مقاربة الحصول واستغنى عن كل خواصها ، كما احتفظ بطرق التي تعبير عن الشروع في الفعل الذي بدا منذ وقت قصير جدا ، وبعسى التي تغير عن توقع حدوث الفعل .

وإذا حاولنا تصنيف دلالات هذه الكلمات على
الزمان حسب التصنيف الزمني المعروف فنرى ان :

1 - ظق + الفعل المضارع
 2 - كاد + الفعل المضارع
 3 - عسى + الفعل المضارع

**خامساً : كلمات ناقصة غير متصفة
لا تدل على حدث ولا زمن
«عني»**

لا تلحقها علامة (العدد والجنس غالباً)

وإذا تبعينا حالات الكلمات الناقصة الثلاث «كاد وطقق ، وعسى» — كما تتضمن من هذا المعرض نرى أنها كانت تسير في طريق التطور نحو الاداة ، فكاد فعل متصرف ، وطقق فعل غير متصرف وعسى غير متصرف والفرق بين طلق وعسى هو ان طلق قد تلحق به علامة ثانية ، بخلاف «عسى» الذي يستعمل على صورة واحدة غالبا ، اي ان هذه الكلمات كانت تفقد خواص الفعل شيئا فشيئا .

ولكن تصرف (كاد) يجعل قرأتها للأفعال – ولو من الجانب الشكلي – أقوى من قرأتها للأدوات الجامدة ، و(الطفق) أقرب إلى «الحرفية» منها إلى «ال فعلية» لأنها غير متصرفة .

اما سر اقتصر العرب على صيغة الماضي لهذه متصرفه لا تلحق بها ايه علامة تشير الى عدد او نوع المرفوع بعدها ، ومن هنا فقد شبهاها ب فعل التي هي اداة بلا خلاف . (1)

والضمانات التي قد تتحقق «عسى» لا تبعدها في نظر بعضهم عن حالة «الحرافية» اذ ان الضمانات اتصلت بها لتبهها بالفعل في كونها على ثلاثة (2) .

أما سر انتصار العرب على صيغة الماضي لهذه الكلمات فهو أن المتكلمين العرب قد صدوا إلى أن يصفوا الحديث قبل حدوثه مباشرة ، والتعبير عن مقاريسة حصوله الوشيكة حتى ليظن القاريء أو المستمع أن الفعل قد حدث «فعلا» أو التعبير عن الحديث الذي يحدث في الحاضر ، لكنه كان قد بدأ منذ لحظات . ولذا نجد هذه الأفعال الماضية ترد دائياً كى تقرر هذه الحال بالنسبة لأفعال مضارعة .

وتصرف «كاد» يعني المضارع منها يمثل حالة هذه الكلمات في مرحلة مبكرة للفة حين كان لكل فعل صبغ فعلية مختلفة ، فهي بهذا أقرب إلى «الفعالية» كما قلت سابقا - .

١) حاشية الامير على متن اللبيب ج ١ - ١٣٢، القاهرة ، المطبعة الازهرية ١٩٢٨

2) منهج الملاك - 71

وَجِئْنَا بِطَرْفٍ لِّتَاهِرَةِ الْوَاحِدَةِ فِي مُصْلَحَةِ وَاحِدٍ
أَقْتَرَحْتُ نَسْبَيَةً لِّعَمَالِ الْمَقْرَبَةِ «الْاِنْدُوَاتِ الْفَعَلِيَّةِ» .

فهي «فعالية» لأن صفتها فعلية ، كما أنها تبني على الفتح ، ويلحق بها علامة التأنيث كما أن بعضها يتصرف :

وهي ((ادوات)) لان بعضها جامد يكاد يترب من الحرف ، كما ان معناها لا يظهر الا فيما بعدها ، فقد سبق أنها تساعد المضارع على اكتساب الدلالة الزمنية المدينة لها - كما يقول سينويه - ، نحو ليس لغيرها من الانفعال) ١ (

بعبارة أخرى ، هذه الكلمات تتسم باسمة الاعمال (الحرفة) لكنها تسلك سلوك الأدوات (التركيبة) فهي ليست أداة خالصة لأخذها الشكل الفعلى ، وتتصرف بعضها ولكنها ((أداة فعلية)) .

وهكذا يربنا ما عليه هذه الكلمات في القرآن الكريم أن تراكيب القرآن تمثل مرحلة تطورية في حياة اللغة العربية ، فالعدد الجم من « الفعل المقاربة » كما سرده النحاة القدماء من تبعهم كلام العرب - لم يرد منه في القرآن الكريم إلا سبعة أفعال .

ويبدو ان المتكلمين العرب كانوا قد بدأوا قبيل نزول القرآن ينصرفون عن هذه الطريقة اقصد ترتيب افعال المقاربة — شيئا فشيئا — بدليل ان ثلاثة افعال من هذه السبعة استعملت في القرآن استعمال الفعل فهي تامة متصرفة ذات دلالة زمنية ، والاعمال الاخرى الباقية كانت تتجه الى ان تصبح «ادوات» فارتنا تناولات متفاوتة عن سمات الاعمال — على ما سبق بيته — .

وأتوه هنا بمنطقة لغة القرآن الكريم واتساعها في الإداء فقد سبق بيان احتفاظ القرآن الكريم بكلمة واحدة لكل قسم دلالي من اقسام هذه الكلمات الثلاثة، فحافظ بهذا على هذه الطريقة التركيبية وكتب لها الابدية في لسان العربية .

وكان القرآن حين أحفظ بهذه الكلمات الثلاث
لأداء الوظائف السابقة ، كان يحتفظ بما يتعلّم على
الاحتمالات الزمنية الثلاث ، وبعبارة أخرى يلاحظ أن
هذه الكلمات تساعد الفعل المضارع على الاتصاف
بالدلالة الزمنية المعينة فهي — أذن — كلمات مساعدة •

فال فعل المضارع «يلعب - يتحمل» «الحاضر» و«المستقبل» بصفته ، ويتركيه مع كاد : كاد يلعب يفيد الحضور ويتركيه مع عسى : عسى يلعب يفيد الاستقبال ، ويتركيه مع طرق : طرق يلعب يفيد الماضي .

و واضح من الشرح السابق ان لون الدلالة - ان مع اطلاق كلية لون هنا - مع كاد و عسى فعبارة عن « تخصيص » المضارع كى يعبر عن الزمن المعيين حاضر او مستقبل ، اما لونها مع طرق فعبارة عن « تحويل » المضارع كى يعبر عن الزمن الماضي .

وإذا كانت هنـم الكلمات تساعد المضارع على التعبير عن الجهة الزمنية المعينة ، فلتـي افتتح دراجها ضمن أدوات الجهة وهو المصطلح الذي يشمل كل الأدوات التي تساعد الفعل على اعطاء الدلالة الزمنية المعينة ، فمـعنى مـثلاً تنهـض بـلادـاء الوـظـيفةـ الـتي تـقـومـ بـهـاـ السـيـنـ الـتـيـ هيـ لـادـةـ بالـاتـلاقـ .

صحيح أن هذه الكلمات «كاد ، عسى ، طرق»
تطلب مراراً يقع قبل المضارع حقيقة أو حكماً ،
ولكن هذا لا يعني من أن تنتبرها داخلة على المضارع
على أن يفهم الدخول هنا بمعنى العام الذي يدل على
السياق ، أي أن هذه الكلمات تأتي في ميقات الفعل
المضارع .

وقد يجدون أن هناك تناقضًا بين الاسم العام الذي يجمع هذه الكلمات وغيرها « أدوات الجهة » والاسم الخاص الذي أعطي لهذه الكلمات « أفعال المقاربة ». •

والدافع لي وراء ادراج هذه الكلمات ضمن «ادوات الجهة» ان هذه الكلمات - رغم كونها افعالاً - تقوم بوظيفة الابوات ، وعلم اللغة التركية يعنى بدراسة الكلمات من حيث ما تؤديه من وظائف وقد يتضمن ما تدل عليه من معنى ، او قد يتوجه كل مصطلحاتها الشكلة .

• 479 - ١ () الكلب

المراجع :

1 — القرآن الكريم

2 — أبو بشر عمرو بن عثمان بن قتيل (سيبوية)
الكتاب — القاهرة ، المطبعة الاميرية 1898

3 — ثعلب ، أبو العباس أحمد بن يحيى
مجالس ثعلب — القاهرة ، دار المعارف
1848

4 — ابن جنى ، أبو النتح عثمان
الخصائص ، القاهرة ، دار الكتب 1952

5 — ابن الأباري ، كمال الدين أبو البركات
عبد الرحمن بن محمد

أسرار العربية . لين 1886

6 — أبو حيان ، محمد بن يوسف بن على
منهج الساكن ، نيويورك 1947

7 — السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر
مع المقام ، القاهرة ، مطبعة المسندة
1909

8 — حاشية الامير على مختى البيب ، القاهرة ،
المطبعة الازهرية 1928

9 — يوسف السودا
الاخرنية — بيروت ، دار ريحان .